موقفنا من العولمة
في ضوء نظرية فقهية معاصرة

بقلم: الدكتور سعيد فكرة
أستاذ السياسة الشرعية
وعميد كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
باتنة

لا تزال فكرة العولمة تطرح إشكاليات على الفكر الإنساني إن على المستوى الغربي أم على المستوى العربي، وقد طرحت هذه الفكرة بأشكال مختلفة ومال أكثرها على المستوى العربي إلى تقرير التناقض بين الإسلام والعولمة على مستوى الطبقة المثقفة أما على مستوى رجل الدولة فهو على خلاف ذلك، ومازلت أذكر في هذا السياق مقالا نشر بعنوان "**الإسلام والعولمة لا يتفقان**" وإلى جانبه "**العولمة قدر محتوم**" ومازلت أيضا أذكر في هذا السياق تلك الندوات التي أذيعت على القنوات الفضائية تحت عنوان "**الإسلام والعولمة**" وفيها وقع الخلاف الجاد وأشتد النقاش حول:

هل أن العولمة قدر محتوم علينا أو أنها ظاهرة تاريخية تعيد نفسها في ثوب جديد أو أنها ظاهرة حضارية... وبقيت إشكالية الإسلام والعولمة تطرح أبعادها الحضارية إن من حيث الموقف أم من حيث الاستفادة بها. وفي ظل هذا انقسمت المقالات والبحوث والدراسات إلى قسمين:

قسم اتسم بالإفراط وقسم اتسم بالتفريط، وفي ظل هذين الموقفين يأتي الموقف الذي نرتضيه من وجهة نظر متزن نحسب أنه يتصف بالوسطية في الرفض والقبول والتعامل، ويتمثل هذا في ضوء نظرية فقهية معاصرة مفادها "**تعهد الأمر بما يصلحه في ضوء الضوابط الشرعية والمقاصد المرعية**".

ومن خلال هذه النظرية يتضح الموقف المتزن في العلاقة بين العولمة والإسلام في ضوء نظرية فقهية معاصرة تستند في تقريراتها

على النصوص الشرعية وأقوال العلماء من السلف والخلف وتبين الموقف الذي يبين حتمية الانتفاع والاستعانة بالعولمة في دائرة تحقيق المصالح ودفع المضار وبضوابط ومقاصد شرعية.

بهذه النظرية أساهم في إثراء هذه الندوة والحمد لله رب العالمين.

العولمة globalisation

ماهي العولمة:

مصطلح قديم في معناه جديد في لقبه أو مصطلحه، ذلك أن علماء الاجتماع والفكر قالوا بأن العولمة هي بلورة مبكرة كانت قبل 5 قرون، والحقيقة أن تعريف العولمة انقسمت في البحوث الأكاديمية إلى قسمين بين مروج لها ومعارض، فالمروج ألصقها بالعالمية ليعطي لها مكانة اصطلاحية مناقضة للقطرية[1].

ومن هنا صيغت العولمة حسب الانتماء النوعي للنشاط الإنساني فاختلفت بذلك تعريفات العولمة من حيث ارتباط العولمة بالنشاط الإنساني الاقتصادي والسياسي والثقافي والإعلامي[2] ومن هنا اتضح عندي أن العولمة ترتبط بالحالة أكثر منه باللفظ والمصطلح وعليه ظهرت العولمة في أشكال وحالات مختلفة .

فقد كانت عولمة يونانية،
وكانت عولمة رومانية
وكانت عولمة عربية إسلامية
وكانت عولمة أوربية استعمارية
واليوم أمام عولمة معاصرة أمريكية

وعلى هذا فالعولمة مرحلة تاريخية وواقع نعايشه يمكن حصرها فيما يلي:

أولا : ــ في القديم تمثلت في الإمبراطوريات وكانت العولمة آنئذ متمثلة في العلاقات فيما بينها.

---

1 ــ الإسلام والعولمة مجموعة مؤلفين ــ دار القوية العربية 131

2 ــ المرجع نفسه، جذور العولمة وإشكالياتها ــ مجلة منبر الحوار عدد 37 ص 45 وما بعدها راجع ماهي العولمة ص 14

ثانيا:المرحلة الثانية وهي مرحلة النشأة، وهي المسماة مرحلة الهيمنة
(بريطانيا ــ فرنسا ــ هولندا (هيمنة أوربية وهي ما تسمى بدول المركز وهي الآمرة الناهية وبتعبير دقيق، الحاكمة)
وكان هذا منذ بداية ق 17 ــ 18
ثالثا : مرحلة: النمو
وهذه المرحلة، توافقت مع مرحلة الإمبريالية الاستعمارية ق (19) وتمثل هذا في الاستعمار السياسي، والاقتصادي، والثقافي
وفي الوقت نفسه برزت قوى جديدة تمثلت في أمريكا وألمانيا.
رابعا : مرحلة النضج: وقد تمثلت في هذا العصر في أطروحاتها التي يمكن ذكر بعض النماذج منها:وهي مهمة تستحق التأمل والتفكير لفهم قضية العولمة من منظور يختلف عن المنظور الزائف الذي غالبا ما تطرحه علينا وسائل الإعلام المختلفة .
وأول هذه الطروحات هو أن العولمة صورة المستقبل يوحي بالعودة للماضي السحيق للرأسمالية.
فبعد قرن طغت فيه الاشتراكية والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية، تلوح الآن في الأفق حركة مضادة تقتلع كل ما حققته الطبقة العاملة والوسطى من مكتسبات.
وليس أدل على ذلك من:
1 ــ زيادة البطالة
2 ــ واتباع السياسة الاغراقية في الأسواق والمنح والقروض
3 ــ ارتفاع تداول العملات الأجنبية
4 ــ تدهور مستويات المعيشة
5 ــ إهدار حق الصحفي والكاتب
6 ــ هدم الهواية الثقافية للأمة
7 ــ توسيع هوة التفرقة بين المجتمعات
8 ــ تقلص الخدمات الاجتماعية التي تقدرها الدولة
9 ــ إطلاق آليات الورقة السوق
10 ــ انخفاض الأجور 6

11 ــ ابتعاد الحكومات عن التدخل في النشاط الاقتصادي وحصر دورها في حراسة النظام [3].

وليس أدل على ذلك أيضا من :

ــ تصدير الجريمة المنظمة وغسيل الأموال والأمراض الخطيرة وعلى رأسها ــ الإيدز [4].

كل هذه الأمور وغيرها ليست سوى صورة عن الأوضاع التي ميزت البدايات الأولى للنظام الرأسمالي إبان مرحلة الثورة الصناعية (1750 – 1850)

وهي أمور سوف تزداد بسرعة رهيبة في ظل طروحات السياسات الليبرالية الحديثة التي تستند عليها العولمة الحديثة

وينتج من هذا الطرح ما يسمى بـ :

مجتمع الخمس الثري وأربعة الأخماس الفقراء:

والذي يعني أنه في القرآن القادم بأعمال العولمة سيكون هناك 20 % من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام.

أما عن 80 بالمائة (النسبة الباقية) تمثل السكان الفائضين عن الحاجة وتسمى بطبقة العاطبين الطبقة السفلى .

وهذه ستواجه بالتأكيد كما يرى الكاتب الأمريكي jeremy..rifkin جريمي في كتابة نهاية العمل مشاكل عظيمة.ويعزز هذا **سكوت ملانيلي** إذ يقول ستكون في المستقبل :"إما أن تأكل أو تؤكل" وهو ما يعبر عنه في ظل العولمة وفي ظل سياستها الليبرالية الحديثة بمصطلح tittytainment الذي طرحه **زيجينيو برجبيسكي** للمناقشة سنة 1995 حيث اجتمع فور باتشوف في فندق فيرمونت ferment بخمسمائة (500) من قادة العالم وعلماء من كل القارات (هيئة خبراء) لتحديد

---

3 ــ راجع في ذلك ــ العولمة أم عالمية الشريعة 28

ــ مزالق العولمة في النظام العالمي الجديد 145

ــ فخر العولمة 122 وما بعدها

ــ الإسلام والعولمة 112

ــ الثقافة العربية في عصر العولمة 167

4 ــ أنظر ــ العولمة التجارية والإدارية 48

معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين هذه الطريق التي (ستقضي إلى حضارة جديدة).

وبعد أن طرحت مسألة الخمس:"العولمة" قال المستشار اللولندي إبان إدارة الرئيس جيمي كارتر ضمن تأثر وهو يتحدث عن الثمانين الباقية 80% الباقية أنهم سيأخذون لهذا المصطلح tittytainment.

وهي كلمة يستعملها ويستخدمها الأمريكيون للثدي دلعا وهو يشير إلى الحليب الذي يفيض عن ثدي الأم المرضع.

حلمة tits

تسلية entertainment

وثانيها هذه الطروحات المهمة أيضا التي تقيد حقيقة العولمة هي التي تعبر عنها وعن أبعادها مسألة: **دكتاتورية السوق والعولمة**

والتي يروج لها منظور العولمة في أفكار منها:

1 ــ إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبحت عبئا لا يطاق

2 ــ إن دولة الرفاهية تهدد المستقبل وإنها كانت مجرد تنازل من جانب رأس المال إبان الحرب الباردة ولا مبرر له الآن بعد انتهاء الحرب.

3 ــ أن شيئا من اللامساواة أمرا لا مناص منه وقد تلقت هذه الأفكار قبولا واضحا في السياسات الليبرالية الاقتصادية التي تطبق الآن في مختلف العالم دون مشاركة الناس وموافقتهم على تلك السياسات.

ونالت هذه الطروحات أيضا:مسألة ما يروجه بعض منظري العولمة والتي تقول:

إن هذه العولمة ذات الاتجاه الليبرالي المغرق في التطرف هي قبيل الحتميات الاقتصادية والتكنولوجيا الطبيعية التي لا يمكن الوقوف في وجهها وفي مقابل هذه الحتمية التي هي قدر علينا كما يعبر عنها بعض مروجي العولمة.

وإذا فالموقف السليم على حد قولهم هو الذوبان في دعاياتها وأساليبها وأنظمتها، وقوانينها ولا يمكن الوقوف أمامها.

وبهذا تتحول الدعوة للانفتاح على هذه الأنظمة والقوانين والمنظمات و السوق النقدي إلى ايديولوجية صارمة يجب أن يخضع لها

الجميع وإلا قانون الغاب سيتكفل بالعقاب وتحت تأثير الضغوط التي تمارسها المنظمات الدولية فإن كل دول العالم تقريبا أخذت بهذه الأنظمة تحقيقا لمصالح خاصة منبثقة من أصحاب رأس المال في كل بلد بل صاروا هم أهل الفكرة الأساس في بلدهم ... كيف لا وهم الآن بوسعهم استثمار أموالهم في كل الأسواق العالمية بدون حدود ولا ضيق .

ورابع هذه الطروحات المهمة أيضا:

ا ــ في ظل العولمة فإن أكثر المصطلحات التي شغلت الفكر الإنساني دهرا من الزمن ستزول ولن يبقى لها أساس في المصطلحات العالمية خاصة وأنه في ظل العولمة الإمبريالية المتطرفة أصبح هذا الطرح يتجاهل على نحو خطير مشكلات البلاد النامية وبشكل خاص مشكلات القارة الإفريقية الفقيرة ومن هذه المصطلحات: العالم الثالث ــ التحرر ــ التقدم، حوار الشمال والجنوب، التنمية الاقتصادية.

وخامس هذه الطروحات: عملية الارتباط الوثيق :

حيث ارتبطت العولمة المستندة إلى الفلسفة الليبرالية الحديثة بتحرير الأسواق المالية والنقدية، والتخلي عن معظم الضوابط التقليدية التي كانت تسير العمل المصرفي والنظم النقدية لعهود طويلة.

وسادس هذه الطروحات أيضا قضية العلاقة بين الديمقراطية والسوق وأنها علاقة متلازمة حيث يرى أصحابها أن الديمقراطية تتطلب السوق كما أن السوق يتطلب الديمقراطية، والتحقيق أنهما غير متلازمين دوما والأمر الأقرب إلى الصواب هو التعارض بينهما، يوضح ذلك خبرة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تجري الان في مختلف بلاد العالم في ضوء السياسة الليبرالية الجديدة التي تستند عليها العولمة.

ومن الطروحات أيضا دفاع الديمقراطية وحمايتها لمصالح الأثرياء والمتفوقين اقتصاديا والإضرار بالعمال والطبقة الوسطى وهو الملاحظ في الدعوة إلى تخفيض الأجور وخفض المساعدات والمنح الحكومية بدعوى تهيئة الشعوب لمواجهة سوق المنافسة الدولية.

أيضا إن إبعاد الدولة عن التدخل في الحياة الاقتصادية وتجاهل البعد الاجتماعي تحت دعوى: "أن السوق أسود ينظم نفسه بنفسه" ما هي إلا أوهام تؤدي في النهاية إلى تدمير الاستقرار الاجتماعي الذي عرفته الدول الرأسمالية الصناعية في عالم ما بعد الحرب، ذلك أن حقيقة

الديمقراطية تمارس حين يكون الاستقرار ويسود الأمن ويتحقق التكافل الاجتماعي وتنتشر فرص الثقافة.

هذه بعض طروحات العولمة وفي ضوئها يطرح السؤال هل يمكننا تحديد هذا المصطلح بدقة أو أنه يصعب ذلك خاصة على الطبقة المثقفة.

وعلى العموم فالعولمة ظاهرة جديدة لا يمكن تحديدها وضبطها، كما أنها ليست هي النتاج الأول للحضارة الغربية، وفي ضوء ما سبق يمكننا تحديد بعض المظاهر التي من خلالها يمكن ضبط معالمها وهي:

1 ــ التوسع الثقافي العلمي ويراد به "تغريب العالم"

2 ــ سياسة الهيمنة بجميع أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

3 ــ عدم الاعتراف بالتنوع الثقافي

4 ــ صدام الحضارات

5 ــ إلغاء الحدود[5]

كما يجب التحفظ هاهنا بما يلي:

أن هذه الطروحات وهذه المظاهر لا تفيد أن ظاهرة العولمة بكاملها وخصائصها ومكوناتها خطر، وسلبية ولا جديد فيها بل الحديث فيها هو:

أن العولمة هي نتاج الثورات المتعددة ضد الرأسمالية بل إنها تتجاوز الثورات إن صح التعبير.

وبناء على ذلك فالعولمة في تقديرنا هي عبارة عن عولمة إجراءات، وعولمة أيديولوجيا.

الأولى مثل الأنترنت والتقدم العلمي والثقافي والطروحات الجلدة والاختراعات في المجالات فهذه وغيرها الواجب الاستفادة منها والعمل بها في ترقية المجتمعات في شتى المجالات على وفق ما يتوافق مع الهوية والعادات والتقاليد.

أما الثانية وهي التي تحمل تصورات وأفكارا هدامة وموقفنا الرفض وعدم القبول لأسباب نعدها:

---

[5] ــ أنظر في ذلك: ــ تحديات العولمة 14 – 35
ــ اليهودية والعولمة 7
ــ مزالق العولمة 129 وما بعدها

أ ــ مسح الهوية
ب ــ المساس بالتقاليد و العادات
ج ــ المساس بالدين و الشخصية الإسلامية

الثانية :إلى جانب هذا التنويع ثمة عولمة اقتصادية وعولمة قيم.

والخلاصة: أن العولمة حالة من حالات الهيمنة في ثوب جديد وهي تمثل الهيمنة الأمريكية على شاكلة الإيمبرالية على العالم في ثوب جديد.

وهنا نطرح السؤال الجاد في ظل هذه الأوصاف والطروحات للعولمة ما هي مخاطرها وسلبياتها[6]؟ والجواب أن خطورتها تتمثل في نقاط نوجزها فيمايلي:

1 ــ المعارضة التامة لثوابت الدين

2 ــ عدم الجمع والتوفيق بين المادة والروح ولعل هذا هو أعظم سبب يهدد كيانها بالانهيار.

موقفنا من العولمة:

تحديد الموقف من العولمة يقتضي النظر إلى وضع العولمة في ظل قاعدة المصالح العامة والمفاسد العامة، وبتحديدنا لمظاهرها يمكننا تحديد الموقف المتزن لتحقيق المصالح والمفاسد، وكون العولمة من الأمور الحضارية التي تطرح اليوم على الساحة السياسية بالأخص فإنه وفي دائرة السياسة الشرعية يمكننا تحديد الموقف المتزن من خلال تلك النظرة القائلة بأن كل أمر يطرح على الفكر الإنساني يجب تحديده في دائرة تعهده بتحقيق المصالح في ضوء الضوابط الشرعية والمقاصد المرعية ولعل ما حددناه بهذه المناسبة بقولنا "تعهد الأمر بما يصلحه في ضوء الضوابط الشرعية والمقاصد المرعية".

يحدد القول بأن العولمة تظل محصورة في دائرة تحقيق المصالح ودرء المفاسد وعليه يمكننا تحديد الموقف في النقاط التالية:

---

[6] ــ أنظر في ذلك ــ العولمة أم عالمية الشريعة ص 28
ــ مزالق العولمة الحديثة في النظام العالمي الجديد
ــ الثقافة العربية في عصر العولمة 167 وما بعدها

1 ــ إما الالتحاق بنموذجية الحضارة الغربية في ضوء السياسات الليبرالية المتطرفة وهذا يحمل الخطورة الواضحة.

وإما الانغلاق عن كل ما تفرزه العولمة دون ضابط أو قيد وهذا أيضا يحمل خطورته.

وإنما الموقف المتزن هو ترتيب البيت وإقامة تكتل اقتصادي وتضامن سياسي وأساس هذا:

أ ــ أننا نملك ثقافة عصرية وإبداعات قيمة.

ب ــ لنا اقتصاد معاصر يملك مفاتيح الحل الذي تتخبط فيه العولمة بكاملها وليس أدل على ذلك مما ذكره فضيلة الأستاذ الدكتور القرضاوي في كتابه الحلول المستوردة[7].

2 ــ تعامل التكييف مع طروحات العولمة يقتضي بيان ومعرفة مسألتين هامتين تتعلق بمجال التعامل في دائرة من أهم الدوائر الأساسية وهي:

أ ــ الثوابت

ب ــ المتغيرات

فالثوابت ثابتة وهي من الأصول المقطوع بها التي لا تخضع لعوامل التغيير و لا يصح التنازل أو التسامح في تكييفها للأنظمة الدولية في ضوء السياسات الليبرالية المروجة للعولمة مثل:

الثقافة: لنا ثقافة عريقة يجب الحفاظ عليها.

الهوية: لنا هويتنا الدينية يجب الحفاظ عليها

الدين: من المسائل التي لا ينبغي الحديث فيه ولا يخضع لعامل التغيير أو التبديل مهما تغيرت الأحوال.

وتأثير العولمة في كل عنصر من هذه العناصر يعتبر غزو، فإذا كانت الدول الأروبية تسن قوانين برلمانية لمنع الغزو الأمريكي في جانب الثقافة، فالمسلمون أولى من حماية هويتهم وثقافتهم والالتزام بدينهم، ومن ثمة فلا بد من التشبث بالهوية فيما هو ثابت وما يقبل التغير ففيه ممدوحه من حيث الاستفادة به ما لم يعارض أصالتنا وضوابطنا ومقاصدنا، أيضا يجب الجمع بين الثوابت والانفتاح في ضوء:

---

[7] ــ أنظر الحلول المستوردة د / القرضاوي

أ ــ الفهم الصحيح الواعي لحقائق الأشياء وما تفرزه الحضارة من إفرازات.

ب ــ معرفة حقائق العصر وتحدياته والسعي إلى معرفة الإنجازات المتنوعة وأبعادها

ج ــ يجب التحصين بالعلم والإيمان.

د ــ يجب إنماء الحوار العقلاني لفهم قضايا العصر

هـ ــ ضرورة التعامل معها في ضوء :

أ ــ الوحدة

ب ــ العقلية النقدية

يوضح ما سبق أن الدين الإسلامي يدعو إلى الوحدة ويعتبرها من الأصول العقدية . ولا يضيق ذرعا بالتنوع الثقافي والحضاري إذا كان في هذا التنوع إثراء لمسيرة الحياة الإنسانية شريطة أن يتوافق ذلك ومبدأ المصالح والمفاسد المقرر شرعا، في الكليات المعتبرة شرعا[8].

د / سعيد فكرة

[8] ــ أنظر ــ الموافقات للشاطبي

ئ المصالح للعز بن عبد السلام.